

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة



إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن

حقوق كبار السن في الإسلام. / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر — الرياض ، ١٤٣٢هـ

٤٤ص، ١٢×١٧سم

ردمك: ٢-٨٨٢٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- المسنون ٢-المسنون- رعاية أ . العنوان

ديوي ٣٤٦.٠١ ١٤٣٢/١٠٦٨٢

رقم الإيداع : ١٤٣٢/١٠٦٨٢

ردمك : ٢-٨٨٢٣-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمد الله الكريم بمحامده الَّذي هو لها أهلٌ، أحمده ـ تبارك وتعالى ـ حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، أحمده ـ جلَّ وعلا ـ على عطاياه ومِننه وآلائه وأفضاله، أحمدُه ـ جلَّ وعَلَا ـ على أن هَدانا لهذا الدِّين العظيم، ومَنَّ علينا باتِّباع سنَّة نبيِّه الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، أحمدُه ـ جلَّ وعَلَا ـ على كلِّ نعمةٍ أَنْعَمَ بها علينا في قديمٍ أو حديثٍ، أو سرٍّ أو علانِيةٍ، أو خاصَّةٍ أو عامَّةٍ، أو حيٍّ أو ميِّتٍ، أو شاهدٍ أو غائبٍ، له الحمد حتَّى يرضى، وله الحمد إذا رضي.

وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، ولا ربَّ سواه، ولا خالقَ إلَّا هو ﷻ، إلهُ الأوَّلين والآخرين، وقيُّومُ السَّماواتِ والأراضِين، وخالق الخلق أجمعين.

وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وخليله، وأمينُه على وَحْيِه، ومُبلِّغُ النَّاس شرعَه، ترك أمَّته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلَّا هالك، أقام الحجَّة وأبان المحجَّة وأوضح السَّبيل، ما ترك خيرًا إلَّا دلَّ أمَّته عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّى أتاه اليقين، صلَّى اللهُ وملائكتُه وأنبياؤُه والصَّالحون من عبادِه عليه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد؛ فإنَّ النَّاس يحتاجون حاجة ماسَّة إلى التَّذكير بحقوق الله ـ جلَّ وعلا ـ، وحقوق الرَّسول ﷺ، وحقوق الوالِدين، وحقوق الأقارِب والجيران، وحقوق كبار السِّنِّ... إلى غير ذلك من الحقوق.

والتَّذكير بهذه الحقوق بوَّابةٌ للخير وطريق للصَّلاح والفلاح، فالمسلم إذا ذُكِّر تذَكَّر، وإذا دُلَّ إلى الخير اهتَدى، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ].

وليدرك المسلمُ جمالَ هذه الشَّريعة المباركة شريعة الإسلام، وأنَّ هذا الدِّين دينُ العَدل، ودين إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ].

وليتأتَّى للمُسلم القيامُ بها إذ إنَّ فاقدَ الشَّيء لا يُعطيه؛ فمَن لا يعرفُ حقَّ الله عليه، أو حقَّ الرَّسول ﷺ، أو حقَّ الوالدين، أو حقَّ الجيران، أو حقَّ كبار السِّنِّ، أو غيرِهم كيفَ يؤدِّي حقوقَهم؟! وكيف يكون عدلًا؟

ولهذا كانَ من أهمِّ المهمَّات، وآكَد الواجبات العنايةُ بمعرفة الحقوق، وأن تكونَ عنايةُ المسلم بها ومعرفتُها بقَصد فعلِها والقيام بها وافيةً تامَّةً، ولا بدَّ كذلك أن يؤدِّيها عبادةً لله ـ تبارك وتعالى ـ وتقرُّبًا إليه، لا أن تكون هذه المعرفةُ لمجرَّد الاطِّلاع ومزيد المعرِفة وكثرةِ العلم و نحوِ ذلك؛ فهذا

ليس مقصودَ العلم، وإنَّما مقصود العلم العملُ؛ ولهذا يقول عليٌّ بن أبي طالب ﵁: «يهتفُ العلم بالعمل، فإن أجابَه وإلَّا ارتحل»[1].

فلا يخلُو الحال إذًا من أَن تكون هذه المعرفةُ: إمَّا حجَّة لك أو عليك؛ حجَّة لك إن اعتنيتَ بتطبيق ما تسمعُ وفِعل ما تُرشَد إليه من الخير والحقِّ والصَّواب، أو عليك؛ إذا كان حظُّك من هذه العلوم والمعارف مجرَّدَ السَّماع «**والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»[2] كما قال ذلك رسولُ الله ﷺ، وهذا يتطلَّب من كلِّ واحد منَّا أن يستَحضر في قلبه نيَّةً طيِّبةً بينَه وبين الله ـ جلَّ وعلَا ـ في سماعه لهذه الحقوق؛ بأن ينوِيَ القيامَ بها وأن يتمِّمها ويكمِّلَها، فيستمعَ وعنده نفسٌ مستعدَّةٌ للعَمل، لا أن تكون نفسُه مُعرِضةً، أو متراخيةً أو متوانيةً، فإنَّ مثل هذا لا يستفيد؛ ولهذا فنحن أحوجُ ما نكون في مثل هذا المقام إلى

(١) رواه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (رقم: ٤٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٣٢٨).

أمرَين ذكَرهما العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مفتاح دار السَّعادة»[1] فقال: «وكمالُ كلِّ إنسانٍ إنَّما يتمُّ بهذين النَّوعين: **همَّةٌ ترقِّيه، وعلمٌ يبصِّره ويهدِيه؛** فإنَّ مراتب السَّعادة والفلاح إنَّما تفوت العبدَ من هاتين الجهتَين، أو من إحداهما: إمَّا أن لا يكونَ له علمٌ بها فلا يتحرَّك في طلبِها، أو يكونَ عالمًا بها ولا تنهضُ همَّتُه إليها»، فهما أمران مِن أهمِّ ما يكون: علمٌ يهديك إلى طريق الحقِّ والصَّواب، وهمَّةٌ عاليةٌ ترقِّيك، أي في درُوب الخير وسُبُل الفَضيلة، وإذا كان عند الإنسان علمٌ ولا همَّةَ له في العمل فعلمُه حجَّةٌ عليه ، وإذا كانت لديه همة عالية بلا علم أتى الأمور خبط عشواء .

فكما أنَّنا نحتاج إلى العلم النَّافع؛ فإنَّنا نحتاج أيضًا إلى الهمَّة العالية الَّتي بمُوجِبها يقومُ الإنسان بأداءِ هذه الحُقوق الواجبة، و المتحتِّمةِ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

ثمَّ إنَّ مِن جمال شريعَتِنا الغرَّاء أنَّها جاءت بمَكارِم

(١) (١/ ٤٦).

الأخلاق ومعالِيها، وحذَّرت من رَذِيل الأخلاق وسفسافها، قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[1]، وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[2]، وقال ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»[3].

فحُسْنُ الخلق ممَّا دعت إليه هذه الشَّريعة؛ فدعت إلى الأدبِ الكامِل والخُلق الرَّفيع، مع الله، ومع رسول الله ﷺ، ومع عبادِ الله، وهي آداب مبارَكة، وأخلاق رفيعة، تتجلَّى فيها متانةُ هذا الدِّين وكمالُه، وتمامُه ورفعتُه، وأنَّه دينُ المحاسنِ في عقائدِه وعباداتِه وآدابِه وأخلاقِه، وهذا الأمر لَمَّا

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٢) رواه التِّرمذي (١٩٤١) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠١): حسن.

(٣) رواه أحمد (٢٥٠١٣)، وأبو داود (٤١٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٢٦٤٣).

فرَّط فيه بعضُ المسلمين ـ أو ربَّما كثيرٌ منهم ـ ضعُف أثرُ إقبال النَّاس على هذا الدِّين من هذه الجهة، وإلَّا لو قام أهلُ الإيمانِ بما يدعُوهم إليه دينُهم من حقوقٍ وواجباتٍ وآدابٍ ومحاسِنَ، وبرزت فيهم هذه الخصالُ، وظهرَت فيهم هذه الخِلالُ؛ لكان هذا مِن أعظم بوَّابات الدَّعوة إلى دخُول هذا الدِّين، ولقد مضى على أمَّة الإسلام أزمنةٌ كان النَّاس يدخُلون في دين الله أفواجًا وجماعاتٍ، مِن جهة ما يَرون على أهل الدِّين من كمال أخلاقِهم وجميل آدابِهم وطِيب تعاملاتِهم في جميع الجوانِب، وقد قرأتُ كلمةً للشَّيخ العلَّامة عبد العزيز ابن باز ـ رحمه اللهُ وأسكنه الجنَّة ـ يُقسِم فيها بالله ويقول:

«المسلِمون اليومَ، بل العالم كلُّه في أشدِّ الحاجة إلى بيانِ دِين الله، وإظهار محاسنِه، وبيانِ حقيقَتِه، والله لو عرَفه النَّاسُ اليومَ، ولو عرَفه العالَمَ على حقيقتِه لدخَلُوا فيه أفواجًا اليومَ كما دخَلُوا فيه أفواجًا بعدما فتح الله على نبيه مكة عليه

الصلاة والسلام»[1].

وصدقَ ـ واللهِ ـ وبرَّ، ولقد لقيتُ رجلًا من أهلِ الهند أسلمَ على يده ما يزيدُ على ألفِ رجلٍ من الهنادِكة، وكلُّهم أسلموا فُرادى، لم يَدْعُ اثنين معًا، وإنَّما دَعوَتُه فرديَّة، وكانت طريقتُه في الدَّعوة أنَّه عنده إلمامٌ جيِّد بمحاسِن هذا الدِّين وآدابِه وكمالاتِه، ثمَّ إنَّه إذا لقيَ أحدَ الهنادِكة ـ وكان يتخيَّر في الغالب مَن يرى عليه الهمَّ والغمَّ والحُزن أو يرى أنَّه في مشكلة معيَّنة ـ جالسًا وحده يجلسُ معه ويسألُه عن حاله، وعن مشكلتِه، ثَمَّ يذكر له بعضَ محاسن الدِّين، وقال لي: إنَّ كثيرًا من هؤلاء يكفيه رُبع ساعةٍ، أو نصفُ ساعةٍ على أكثر تقدِيرٍ؛ أُعدِّد له شيئًا من محاسن هذا الدِّين، فيسألني كيفَ الدُّخول؟ وما السَّبيل إلى أن أكونَ من المسلِمين؟ فيعرِضُ عليه الإسلامَ ويُسلِم.

---

(١) «مجموع فتاواه» (٢/ ٣٣٨).

إنَّنا ـ معاشرَ أمَّة الإسلام أمَّة محمَّد ﷺ ـ بحاجةٍ إلى أن نعرفَ؛ أوَّلًا محاسنَ ديننا، وننهلَ من معينِه العَذب ومَورده الصَّافي، ونتفيَّأُ ظلالَه ونرتَوي من زُلاله، فنتأدَّب بآداب الإسلام، ونعتَني بالأخلاق الَّتي دعانا إليها ربُّ العالمين، ونستشعِر أنَّ هذه الأخلاقَ هي أمرٌ دعا إليه خالقُ هذا الكَون وربُّ العالمين، الحكيمُ العلِيمُ بخَلقه سبحانه وتعالى، فنأْتَمر ونمتَثل ونطيع، نرجو بذلك ثوابَ ربِّنا وموعودَه الكريم لمن قامَ بها أمرهُ الله ـ تبارك وتعالى ـ به من حقوقٍ وواجباتٍ.

ولا بدَّ أن تنتبِه إلى هذا الأمر؛ أنَّ قيامَك بهذه الحقوق وفِعْلَك لها إنَّما هو طاعةٌ لله، طلبًا لثواب الله، وانتظارًا لموعودِه في الدُّنيا والآخرة، من ثوابِه المعجَّل، ونعيمِه المؤجَّل سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [سورة الإنسان]، وإيَّاك أن تكون في البرِّ مساوِمًا لا تُعطي إلَّا بمقابل؛ إن وُصِلت وَصَلت، وإن قُطِعت قطَعت، قال أحدُ الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ:

«يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ» فلم يرشِده ﷺ إلى أن يعامِلهم بالقَطيعة المذمومة، مع أنَّهم يقطَعونه، وإنَّما أرشدَه ﷺ إلى أن يصِلهم وإن قَطعوه، وذكَّره بثوابِ الله وعظيمِ نَوالِه؛ فقال: **«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»**(١).

ودخولًا في الموضُوع عقِب هذه التَّوطِئة؛ فإنَّ من الحقوقِ العظِيمة الَّتي دعا إليها هذا الدِّين الحنيف:

«حقوق كبار السِّنِّ»..

سواءٌ كان هذا الكبيرُ أبًا أو قريبًا أو جارًا، مسلمًا أو غير مسلمٍ، فالكِبَر له حقٌّ جاءت الشَّريعة بحفظِه ورعايتِه والقيامِ به.

وقد جاء في الحدِيث الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ، من حديثِ

---

(١) رواه مسلم (٦٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبي موسى الأشعَري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ**»[1]، فهؤلاء الثَّلاثة إكرامُهم من إجلال الله سبحانه وتعالى، وإجلاله سبحانه أجلُّ المطالب وأنبَلُ المقاصد؛ والتَّقصيرُ في هذا الواجِب تقصيرٌ في إجلال الله؛ لأنَّ ربَّ العالمين دعاكَ لهذا الأمرِ لما فيه من الخَير والمصلحة والحُسن والكَمال والجَمال، فإنْ قصَّرتَ فتقصيرُك ضعفٌ في قيامِك بإجلال ربِّ العالمين، وقيامُك بهذا الإكرَام هو مِن إجلالِك لربِّ العالمين.

فانظُر إلى هذه المكانَة العالِية، والمنزلة الرَّفيعة الَّتي تبوَّأها هذا الحقُّ الَّذي هو حقُّ كبير السِّنِّ ذي الشَّيبة المسلِم.

بل ثبتَ في الحديث الصَّحيح أنَّ نبيَّنا ﷺ قال: «**لَيْسَ**

(١) رواه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٩).

مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا»[1]، فالكبيرُ له توقيرٌ واحتِرامٌ، وله منزلة وقدْرٌ، وله شأنٌ يجبُ أن يُحفَظ ويراعَى، فمَن لم يوقِّر الكبيرَ فليس منَّا.

وقوله ﷺ: «**ليسَ مِنَّا**» فيه أنَّ من لا يوقِّر الكبيرَ ولا يحترِمه ليس على هدي النَّبيِّ ﷺ، ولا على طريقتِه وسنَّتِه، صلواتُ الله وسلامه عليه.

ثمَّ إنَّ هذا الحقَّ يعظُم ويكبُر من جهة ما احتفَّ به؛ فإذا كان قريبًا فله حقُّ القرابة مع حقِّ كِبَر السِّنِّ، وإذا كان جارًا، فإضافةً إلى حقِّه في كِبَرِ سِنِّه فله حقُّ الجِوار، وإذا كان مسلمًا، فله مع حقِّ كِبَر السِّنِّ حقُّ الإسلام، وإذا كانَ الكبيرُ أبًا أو جدًّا فالحقُّ أعظَم، بل إذا كان المسنُّ غيرَ مسلمٍ فله حقُّ كِبَر السِّنِّ، إذ الشَّريعة جاءَت بحِفظ حقِّ

---

(١) أخرجه التِّرمذي (١٨٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه، وهو في «الصَّحيحة» (٢١٩٦).

الكبيرِ حتَّى مع غيرِ المسلِمين، فلربَّما تكونُ رعايَتُك لحقِّه سببًا لدخوله في هذا الدِّين في مراحِل حياتِه الأخيرَة، ودنُوِّ مفارقَتِه للدُّنيا؛ فيرَى سماحةَ هذا الدِّين ولطفَه ونبلَه وجمالَه، ولا سيما وهو يرَى حقوقَه ضائعةً في تلك العقائِد الباطِلة، والدِّين الزَّائف الَّذي نشأَ فيه وعاشَ عليه، فيدخُل في دِين الإسلام بسبَب هذا الأمر المشرِق الَّذي عاينَه، بينما إذا ضُيِّع هذا الحقُّ معه فقَد يَحُولُ ذلك بينَه وبين تقبُّل هذا الدِّين، وهذا مَلْحَظٌ لا بدَّ من رعايتِه.

ولنَتأمَّل هذه القصَّة العجِيبة الَّتي رواها الإمامُ أحمد في «مسنده»(١) عَن أسماءَ بنتِ أبِي بكرٍ، قَالَتْ: «لَمَّا وقفَ رسولُ الله ﷺ بِذِي طُوًى، قالَ أَبو قُحَافَةَ لابنةٍ له مِن أصغرِ وَلَدِه: أَيْ بُنَيَّةُ! اظْهَرِي بِي عَلَى أَبِي قَبِيسٍ؛ قالَتْ: وقَد كُفَّ بصرُه؟!

(١) برقم (٢٦٩٥٦)، وحسَّن إسناده الألباني في «الصَّحيحة» (١/ ٨٩٥).

قالَتْ: فأَشرَفْتُ به عليهِ، فقالَ: يَا بُنَيَّةُ! مَاذَا تَرَيْنَ؟ قالَتْ: أرَى سوادًا مُجتَمِعًا، قَالَ: تِلْكَ الخَيْلُ، قالَتْ: وأرَى رَجُلًا يسعَى بينَ ذلِك السَّوادِ مُقبِلًا وَمُدبِرًا، قالَ: يَا بُنَيَّةُ! ذَلِكَ الوَازِعُ، يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا، ثمَّ قالَتْ: قد واللهِ انتشَرَ السَّوَادُ، فقالَ: قَدْ وَاللهِ إِذَا دَفعَتِ الخَيْلُ، فَأَسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي، فانحَطَّتْ به، وتلقَّاهُ الخيلُ قبلَ أن يصِلَ إِلَى بيتِهِ، وفِي عنُقِ الجَارِية طَوقٌ لهَا مِن وَرِقٍ، فتلقَّاهُ رَجُلٌ، فاقتلَعَهُ مِن عنُقِهَا؛ قالَتْ: فلمَّا دخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ، ودخَلَ المسجِدَ، أَتَاهُ أبو بَكرٍ بِأبيهِ، فلمَّا رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**هَلاَّ تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ**»؛ قالَ أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ! هو أحقُّ أَن يمشِيَ إليكَ مِن أَن تمشيَ أنتَ إليهِ، قالَ: فأَجلسَهُ بينَ يدَيهِ، ثمَّ مسحَ صدرَهُ، ثمَّ قالَ لَهُ: أَسلِم؛ فأَسلَم، ودخَلَ به أبو بكرٍ على رسولِ اللهِ ﷺ ورأسُه كأنَّه ثَغَامَةٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ**»، ثمَّ قامَ

أبو بكرٍ، فأخَذ بيَدِ أُختِه، فقالَ: أَنشُدُ بالله والإسلامِ طَوْقَ أُختِي، فلَم يُجبه أحدٌ، فقالَ: يا أُخَيَّةُ! احتَسِبي طَوْقَكِ».
ورواه مختصرًا من حديث أنسٍ رضي الله عنه، ولفظه: «**لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ؛ لأَتَيْنَاهُ تَكْرُمَةً لأَبِي بَكْرٍ**».

فأيُّ وقْعٍ يكونُ لهذه الكلمة في النَّفس، وأيُّ أثرٍ يكونُ لها في القَلب؟ إنَّها ـ واللهِ ـ تفتح القلبَ على مِصراعَيه، وتجعله متقبِّلًا ومنشرِحًا لما يُدعى إليه، ولذا سارَع إلى الإسلام دونَ تردُّدٍ.

بل لو كانَ والدُ الإنسان غيرَ مسلمٍ فالشَّريعة جاءت بحِفظ حقِّه، حتَّى وإن كان يدعُو ابنَه إلى الكُفر، قال تعالى: ﴿**وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ**﴾ [لقمان: ١٥]، فلَم يقُل: وإن جاهدَاك على أن تُشرِك بي ما ليسَ لك به علمٌ فعُقَّهما، بل قال: ﴿**فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ**﴾، كذلكَ لو كانَ والدُ الإنسان تاركًا

للصَّلاة أو فاسقًا يَبقى له حقُّ الأبوَّة وكِبَر السِّنِّ؛ فيُعامَل بموجِب هذا الحقِّ مراعاةً لحقِّه، وتأليفًا لقَلبه، لعلَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يهديَه للعَودة إلى الحقِّ والصَّواب، وفي الوقت نفسِه تُبذَل له النَّصيحة بأدبٍ، وبدون تعالٍ عليه أو ترفُّعٍ، لعلَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يمنَّ عليه بالهِداية وأن يوفِّقه للاستِقامة.

وعلى كلٍّ؛ فدينُنا دينُ المَعرُوف، ودينُ السَّماحة، ودينُ اللُّطف، ودينُ العَدل، ودينُ رِعاية الحُقوق والقِيام بها، وإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وشريعتُنا جاءت بحِفظ حقِّ الكبِير ورعايتِه وإن لم يكُن مسلمًا، فكيفَ إذا كان هذا الكبِير مسلمًا؟ وكيف إذا كانَ جارًا؟ وكيف إذا كانَ قريبًا؟ وكيف إذا كانَ أبًا أو أمًّا؟ فلا شكَّ أنَّ الحقَّ أعظَم.

بل إنَّ هذا مِن أعظَم القُرَب، وأجَلِّ الوَسائل للفَوز برِضا الله، وتفرِيج الكُروب، وتيسِير الأُمور، كما يشهَد

لذلِك قصَّة النَّفر الثَّلاثة الَّذين أوَوا إلى غارٍ في جبَلٍ فدخَلُوه فانحَدرت صخرَةٌ من الجَبل فسدَّت عليهُم الغارَ، فتوسَّل كلٌّ واحِدٍ منهم بصالِح أعمالِه، فكانَت وسيلةُ أحدِهم قيامَه بهذا الحقِّ العظِيم، ورعايتَه لهذا المَطلب النَّبيل، حيث قال في توسُّلِه: «**اللَّهُمَّ! كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ! إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ**»[1]، فكانَ ذلِكُم سببًا عظيمًا لتفرِيج كُربَتهم، وتيسِير أمرهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢ وغيرهما)، ومسلم (٢٧٤٣).

ونصوصُ شَرعنا المطهَّر، ودَلائِل كتابِ الله وسنَّة نبيِّه ـ صلَواتُ الله وسَلامُه عليه ـ في رِعاية هذا الحقِّ والقِيام به كثيرةٌ جدًّا، يذكرُها أهلُ العِلم في كتُب الآداب، ولو طالَعت الكتابَ الفذَّ العظيم كتابَ «الأدَب المُفرَد» للإمام البخاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو غيرَه من كُتب أهل العِلم في هذا الباب؛ لرأيتَ من الأحادِيث والنُّصوص الكثيرَة الَّتي تدعُو أهلَ الإيمان وعمومَ المسلِمين إلى القِيام بهذا الحقِّ العَظيم ورعايَتِه، بل إنَّك تلمَحُ في هذا الكتابِ ـ وفي غيرِه من كتُب أهل السُّنَّة ـ الأدبَ الرَّفيع، والخُلق العالي الَّذي كان عليه جِيلُ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ مع كِبار السِّنِّ، وسَيَمُرُّ معنا لَمحاتٌ إلى بعضِ ذلك، وإشاراتٌ إلى طرَفٍ منه، إن شاءَ اللهُ.

وهُنا نقِف وقفةً لا بدَّ منها : إذا سمِعنا بحقِّ الكبير، ودعوةِ الشَّريعة للقِيام به ورعايَتِه، يحتاج كلُّ واحدٍ منَّا إلى جملةٍ من الأشياء يستَحضِرها في نفسه، ويستجمعُها في ذهنِه

لتكونَ عونًا له على القِيام بهذا الواجِب، وإلَّا يكون تأثيرُ هذا السماعُ مؤقَّتًا، أو معدومًا ، وأُلْمِح بهذا إلى مشكِلةٍ نعاني منها كثيرًا في حياتِنا العمليَّة؛ حيثُ إنَّا نسمَع مواعِظَ نافعةً، وتذكيرًا مؤثِّرًا، إلَّا أنَّ تأثُّرنا بها يكون وقتيًّا، فبعضُ النَّاس يستمرُّ تأثير الموعِظة معه أسبوعًا، أو أقلَّ، أو أَزْيَد ثمَّ يتوقَّف، ولا يلِيقُ بنا أن تكونَ حالُنا كذلك، بل ينبَغي أن تكونَ حالُنا مع ما نوعَظ به ونُذكَّر به مِن أبوابِ الخَير هو الاستِدامة والمُواصَلة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾**﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

ومِن طَرِيف ما يُذكَر في هذا المقام؛ أنَّ أحدَ المصَلِّين جاء إلى خطِيبِ جامعِ حيِّه يُعاتِبه، فقال له: أنتَ منذُ سنواتٍ عديدةٍ تخطُب فينا؛ فماذا صنَعتَ؟ وأيُّ شيءٍ قدَّمتَ؟ فأجابه الخطيبُ على الفَور: وأنتُم طوالَ هذه المدَّة تستَمعون إليَّ فماذا فعلتُم؟

فمهمَّة الخطِيب أن يبيِّنَ ويعظَ ويُذكِّر، والسَّامعُ عليه إذا بلَغه الخيرُ أن يعمَل به، ويُداوِم عليه مستعينًا بالله ليبقَى هذا الخيرُ حياةً عمليَّةً يطبِّقها، ويستَدِيم تطبيقَها إلى أن يتوفَّاه اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ وهو عنهُ راضٍ.

وعليه؛ ففِي هذا البابِ الَّذي نحنُ فيه (حُقوق كِبار السِّنِّ) نحتاجُ إلى جملةِ أمورٍ ينبَغي علينا أن نستَحضِرها في أنفسِنا حتَّى تكونَ عونًا لنا على القِيام بهذه الحُقوق، واستِدامة تطبيقِها إلى أن نلقى الله ـ جلَّ وعلا ـ، ولعلِّي ألخِّصها في عِدَّة نقاطٍ:

* **أوَّلًا**: أن نقِفَ على الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة الَّتي تدلُّ على أهمِّيَّة رعايةِ هذا الحقِّ العظيم ـ حقِّ كبار السِّنِّ ـ، والأدلَّة لها وقعٌ كبيرٌ في النُّفوس المؤمِنة، والقُلوب الصَّادِقة، فوالله! ثمَّ والله! إنَّ قولَ نبيِّنا ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**» لو صادَف قلبًا قوِيًّا ليسَ عليه كدَرٌ ولا غِشاوةٌ؛ لهزَّهُ هزًّا وأثَّر فيه أيَّما تأثِيرٍ، وكذلِكُم قولُه ﷺ:

«**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[1]، فنحتاجُ إلى سماعِ هذه الأدلَّة، وسماعِ هذه الأحادِيث المبارَكة عن نبيِّنا الكَريم ـ صلَواتُ الله وسَلامُه عليه ـ حتَّى يكونَ هذا السَّماعُ عونًا لنا على الخَير، والخيرُ منازِلُ ودرجاتٌ؛ فأوَّلُ درجاتِه السَّماعُ، ثمَّ الفَهمُ، ثمَّ العملُ والتَّطبيق؛ فهي مراحِلُ يتدرَّج فيها العبدُ.

ولهذا جاءَت الشَّريعة بالحثِّ على العِلم ولُزوم مجالِسه؛ لأنَّها البوَّابةُ الَّتي يدخُل منها المسلمُ إلى الفَضائِل بجمِيع أنواعِها، والخَيراتِ من أوسَع أبوابِها.

* **ثانيًا**: أن تستَعين بالله، وتَلتجِئ إليه ﷻ بأن يُعينك على القِيام بهذا الحقِّ، «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِالله**»[2]، وفي القُرآن الكَريم يقُول اللهُ تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**

(١) رواه أحمد (٦٩٣٧)، والتِّرمذي (١٩٢٠) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[سُورَةُ الفَاتِحَةِ]، ويقُول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُودٍ:١٢٣]، فلا قُدرةَ لك على القِيام بهذِه الحُقوق إلَّا إذا أمدَّك اللهُ بالمَعونة والتَّوفيق، ولذَا قال النبيُّ ﷺ لمعاذِ بن جَبل رضي الله عنه: «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ!**» فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[1].

فإذَا سمعتَ بالفَضيلة، أو بابٍ مِن أبوابِ الخَير؛ فاطلُب مِن الله أن يُعينك علَيه، وأن يُيَسِّره لكَ، وأن يوفِّقك للقِيام به، وألَّا يَكِلَكَ إلى نفسِك.

* **ثالثًا**: أن تستَحضِر ـ أيُّها المسلِمُ الموفَّق! ـ الثِّمارَ العظِيمة، والخَيراتِ العَميمةَ المترتِّبَةَ على رعايتِك لهذا الحقِّ، وقيامِك به

---

(١) رواه أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٣٦٢)، والنَّسائي (١٣٠٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (١٥٩٦).

في الدُّنيا والآخِرة؛ واللهُ ـ تبارَك وتعالى ـ أعدَّ للقائِمين بهذه الحقوقِ خَيراتٍ عظيمةٍ، ونِعَمٍ عديدةٍ، في دُنياهم وأُخراهم؛ وهذا البرُّ والخَيرُ والإحسَانُ من أسباب سَعة الرِّزق في الدُّنيا، وأن يُنسَأ للإنسانِ في أجلِه، وأن يُبارَك له في حياتِه، وأن تَزول عنه المكدِّرات والهمُوم والأحزَان، وأن تَنصرِف عنه المصائِبُ والمِحَنُ، قال ﷺ: «**إِنَّمَا تُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»[1]، وقال ﷺ: «**ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ؛ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»[2]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[3]، فإذا كانَ حقُّ الكبير محافَظًا عليه يقومُ أهلُ الإيمانِ به ويَرعَوْنَه، فلا شكَّ أنَّ هذا مِن أعظَم أسبابِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» (٥٧٧) من حديث أبي عبيدة رضي الله عنه وفي سنده الواقدي؛ ورواه البزَّار (١١٥٩) من حديث سعد رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٢١٧٣١)، وأبو داود (٢٥٩٤)، والتِّرمذي (١٧٠٢)، والنَّسائي (٣١٧٩) من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٧٨٠).

(٣) رواه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه

التَّيسير والبَركة، وانصِراف الفِتن والمِحن والبَلايا عن النَّاس، وأيضًا سببٌ للخَيرات العظِيمة، والنِّعَم المتوالِية على العَبد في دُنياه وأُخرَاه.

* **رابعًا**: أن تتذكَّر قاعدةً وأصلًا دلَّت عليه نصوصٌ كثيرةٌ مِن الكتاب والسُّنَّة، ألَا وهُو: **(كَما تَدِينُ تُدَانُ)**، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ** ﴿٦٠﴾﴾ [سُورَةُ الرَّحۡمَٰن]، وفي المقابِل يقول ﷻ: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ**﴾ [الرُّوم: ١٠]؛ فالإِحسانُ جزاؤُه الإحسانُ، والإساءةُ جزاؤُها الإساءَةُ؛ ولهذا جاء في حديثٍ يُرفَع إلى النَّبيِّ ﷺ ـ وفي سندِه كلامٌ ـ أنَّه قال: «**مَنْ أَهَانَ ذَا شَيْبَةٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يُهِينُ شَيْبَهُ إِذَا شَابَ**»[1].

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا بلاغًا في «العمر والشَّيب» (١٥)، وفيه مع انقطاعه إبراهيم بن صرمة، قال ابن معين: كذَّاب خبيث، وورد من حديث أنس مرفوعًا بلفظ: «**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ**

فإذا كنتَ تحترِم الكبيرَ وترعَى حقَّه؛ يسَّر اللهُ ـ تبارَك وتعالى ـ لك مَن يرعَى حقوقَك في كِبَرك، جزاءً لك مِن جنسِ إحسانِك، وسيأتِي علَيك يومٌ تكونُ فيه كبيرًا مُسِنًّا، ضعيفَ البَدن، ضعيفَ الحواسِّ تحتاجُ ممَّن حولكَ أن يرعَوا حقَّك وأن يحترِمُوك، وإذا كنتَ مضيِّعًا ذلك معَهم في شبابِكَ كانَ الجزاءُ مِن جنسِ العَمل، و«**كَمَا تُدِينُ تُدَانُ**»[1].

وهذِه سنَّةٌ ماضيةٌ ومعلومةٌ، والنَّاس يعرِفونَها في واقِعهم تمامَ المعرِفة، ويشاهِدُونها فيهِم وفي غيرِهم؛ فعلى العبدِ النَّاصح لنفسِه أن يتَّقي اللهَ ﷻ، وأن يقُومَ بهذِه الحُقوق، وأن يرعَاها طلبًا لثوابِه وفضلِه وإِنعامِه وإِكرامِه ﷻ.

* **خامسًا:** أن تتأمَّل الحالَة المبارَكة الَّتي كان علَيها

يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ» رواه التِّرمذي (٢٠٢٢)، والبيهقي في «الشُّعب» (١٠٤٨٥)، وحكم بنكارته الألباني في «الضَّعيفة» (٣٠٤).

(١) يروى حديثًا ولكنَّه لا يصحُّ؛ انظر: «الضَّعيفة» (٤٥١٠).

سلفُنا الصَّالح؛ مِن أدَبٍ مع الكِبار، واحتِرامٍ لهم، وتوقِيرٍ وتقدِيرٍ، وقِيامٍ بحُقوقِهم، فترعَى ذلك الأمرَ الَّذي كان علَيه سلفُنا الصَّالح؛ فإذا طالَعت كتُبَ السِّير؛ سِيَر الصَّحابة ومَن اتَّبَعَهم بإِحسانٍ تجِدُ أخبارًا عَذْبةً وسِيرَةً عطِرةً كانوا يعِيشُونها، وتجِدُ أنَّ شبابَ الصَّحابة وشبابَ التَّابعين في غايةِ الأدَب، وفي غايَة الاحتِرام للكِبار، فتتعلَّم من خِلال تلك السِّير الأدبَ الكريمَ، والخُلقَ الرَّفيعَ، لكن مَن مضَتْ حياتُه، وانْصَرَمَتْ زهرةُ شبابِه وهو مَفتونٌ بمطالَعة أخبارِ اللَّاعبِين والفنَّانِين[1]، وأشباهِ أولئكَ لا يُمكِن أن يتعرَّف

(١) إنَّ مِن المؤسِف حقًّا، ومن المُبكِي صدقًا أن يتعدَّى بعض النَّاشئة على هؤلاء المسنِّين؛ فلا يعرِفون لهم حقًّا، ولا يقُومون لهم بواجبٍ، بل منهُم من ربَّما اعتدَى على كبيرِ السِّنِّ بشَتمٍ أو غير ذلك من الإساءَات، وهؤلاء النَّاشئة ـ وإن كانوا قلَّةً ـ يجب عليهم أن يعُودوا إلى الله عودَةً صادِقةً بمعرفةِ حقِّ هؤلاء، وتأدِية واجِبهم، وأن يراقِبوا اللهَ ـ عزَّ وجلَّ

على هذِه الأخلاق الفاضِلة النَّبيلة الَّتي كان علَيها سلفُنا الصَّالح الرَّعيل الأوَّل المُبارَك؛ فما أشدَّ حاجَتنا إلى مطالعةٍ سِيَرهم حتَّى نزدادَ من الخَير الَّذي كانُوا عليه، «ومَن كانَ بهِم أشبهَ كان ذلِك فيه أكملَ»[1]، وما أجمَل قولَ القائِل:

كَرِّرْ عليَّ حديثَهُم يا حادِي
فحَديثُهم يُجلِي الفُؤادَ الصَّادِي

ومِن النَّماذِج والأمثِلة على ذلِك ما جاء في «الصَّحيحين»[2] عنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ يومًا لأصحَابِه: «**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ؛ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ**»؛ فجعَل القومُ

ـ فيهم حقَّ المراقَبة قبل أن يفُوت الأوان، فكم مِن إنسانٍ كان عندَه في بيتِه كبيرُ سِنٍّ لم يرعَ حقَّه، ولم يقُم بواجِبه فلمَّا مات وفارَق الحياةَ لحِقَه ندَمٌ كبيرٌ وأسفٌ عظيمٌ على التَّفريط والإضاعة.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٠).

(٢) البخاري (٦١، ٦١٢٢)، ومسلم (٢٨١١).

يَذكُرونَ شجرًا مِن شجَرِ البَوَادِي، قالَ ابنُ عمرَ: وأُلقِيَ في نَفسِي ـ أو رُوعِي ـ أنَّها النَّخلَةُ، فجَعَلْتُ أُرِيدُ أن أَقُولهَا، فإِذا **أسنَانُ القَومِ**، فأَهابُ أَن أَتكَلَّمَ، فلمَّا سكَتُوا قالَ رسولُ الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

والأمثِلة على ذلِك كثيرةٌ، وسيَأتي ذِكرُ شيءٍ مِنها.

***

أمَّا حُقوق الكبِير الَّتي دعَا إليهَا الإسلامُ وأَمر بها؛ فهِي:

أوَّلًا: توقيرُه؛ كما جاءَ في الحدِيث: «**يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»، وهي كلمةٌ عظيمةٌ لها معانٍ جليلَةٌ ورفِيعةٌ جدًّا، الكبيرُ يوقَّر، ويكونُ له مكانةٌ في النُّفوس، ومنزلةٌ في القُلوب، له احتِرامٌ وله إكرامٌ، وهذا مُنطلَقُ وركِيزةُ القِيام بحُقوق الكبِير؛ لأنَّ مَن لم يوقِّر الكبيرَ لا يُمكِن أن يقُوم بحقوقِه، فتوقِيرُه حقٌّ له، وهُو في الوَقت نفسِه ركيزَةٌ للقِيام بسائِر حقوقِه، وجميعِ واجباتِه، وتوقيرُ الكبيرِ أن يكونَ له في قلبِك وَقارٌ ومَكانةٌ،

وأن تعرِف له قدرَه ومكانتَه ومنزلتَه، فهذا حقٌّ من حُقوقه.

ثانيًا: ما جاءَ في الحدِيث الآخِر، حديثِ أبي موسَى الأشعَري رضي الله عنه **أنَّ النَّبيَّ** ﷺ **قال: «إنَّ مِنْ إِجْلَالِ الله إِكْرَام ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»** أن تُكرِمه بما تدلُّ عليه هذِه الكلمة من معنًى؛ بحُسن الخِطاب وطِيب المعامَلة، وجَميل التَّودُّد إلى غيرِ ذلك مِن صُوَر الإِكرام.

ثالثًا: أن تبدَأه بإِلقاء السَّلام عليه، كما في الحدِيث: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي»[1]؛ فإِذا لقيتَ كبيرَ السِّنِّ لا تنتَظِر أن يبدَأك بالسَّلام، بل سارِع وبادِر بإِلقاء السَّلام عليه بكلِّ أدَبٍ واحتِرام، وبكلِّ توقِيرٍ ولُطفٍ، وتُراعِي أيضًا حالَه في كِبَر سنِّه؛ فإِذَا كان سمعُه سليمًا تسلِّم عليه بصَوتٍ يسمَعُه ولا يُؤذِيه، وإذا كان بسَبب كِبَر سنِّه

(١) رواه البخاري (٦٢٣١ـ٦٢٣٢)، ومسلم (٥٧٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثقُلَ سمعُه أيضًا تُراعِي ذلِك.

رابعًا: إذا حدَّثتَ كبيرًا في السِّنِّ نادِه بألطَف خِطاب: يا عمِّ! ونحوِها، احترامًا لسِنِّه وقَدرِه ومكانَتِه، فعن أَبِي أُمامَةَ بنِ سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ: «صَلَّينا معَ عُمَرَ بن عبدِ العَزيزِ الظُّهرَ ثمَّ خرَجْنا حتَّى دخَلْنَا على أنَسِ بنِ مالكٍ فوجَدْناهُ يصَلِّي العصرَ، فقلتُ: يا عَمِّ! ما هذِه الصَّلاة الَّتي صلَّيْتَ؟ قالَ: العَصرُ، وهذِه صَلَاةُ رسولِ الله ﷺ الَّتِي كُنَّا نُصَلِّي معَهُ»[1].

وعَن عبدِ الرَّحمن بنِ عَوفٍ رضي الله عنه أنَّه قال: «بيْنَا أنَا واقِفٌ في الصَّفِّ يومَ بَدْرٍ نظَرتُ عَن يمِينِي وشِمَالِي؛ فإذَا أنا بينَ غُلَامَينِ مِن الأَنصَارِ حدِيثَةٍ أسنَانُهما، تمَنَّيتُ لو كنتُ بينَ أَضلُعٍ منهُمَا، فغَمَزَنِي أحَدُهما فقالَ: يَا عَمِّ! هَل تعرِفُ أبا جَهلٍ؟ قالَ: قلتُ: نعَم، ومَا حاجَتُك إلَيهِ يا ابنَ أَخِي؟! قالَ: أُخبِرتُ أنَّه يَسُبُّ رَسُولَ الله ﷺ، وَالَّذِي نفسِي بيدِه؛

---

(١) رواه البخاري (٥٤٩)، ومسلم (٦٢٣).

لَئِنْ رأَيتُه لَا يُفَارِقُ سوَادِي سوَادَهُ حتَّى يمُوتَ الأَعجَلُ مِنَّا»[1] الحديث .

خامسًا: أن يقدَّمَ في الكَلام، ويقدَّم في المجلِس، ويقدَّم في الطَّعام، ويقدَّم في الدخول ، فهذَا مِن حُقوقِهم، ولهذا جاءَ في «الصَّحيحين»[2] عن سَهلِ بن أَبِي حَثْمَة ﷺ قال: «انطلَقَ عبدُ الله بنُ سَهلٍ ومُحَيِّصَةُ بنُ مسعُودِ بنِ زيدٍ إلَى خَيبرَ ـ وهيَ يومئِذٍ صُلحٌ ـ، فتفرَّقَا؛ فأتَى محيِّصَةُ إلى عبدِ الله بنِ سهلٍ وهوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمٍ قتِيلًا، فدَفنَهُ، ثمَّ قدِمَ المدِينَةَ فانطلَقَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ سهلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابنَا مسعُودٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فذهبَ عبدُ الرَّحمنِ يتكلَّمُ، فقالَ: «كبِّرْ كبِّرْ»، وهوَ أحدَثُ القَومِ، فسَكتَ، فتكلَّمَا، فقالَ: أَتَحلِفُونَ وتَستَحِقُّونَ قاتِلَكُمْ، أَو صاحِبَكُمْ؟ قالُوا: وكيفَ نحلِفُ ولم

---

(١) رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) البخاري (٢٩٣٧، ٦٦٥٥)، ومسلم (٣١٦٠) من حديث سهل ابن أبي حثمة ﷺ .

نشهَدْ، ولم نرَ؟! قالَ: فتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بخمسِينَ، فقالُوا: كيفَ نأخُذُ أَيْمانَ قومٍ كفَّارٍ؟! فعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِن عندِه»؛ الشَّاهد قولُه: «كَبِّرْ كَبِّرْ»، يُريد السِّنَّ.

وأيضًا في قِصَّة السِّواك[1]، وفي غيرِها كان ﷺ يُراعِي تَقدِيم الكَبِير.

وعن مالك بن مغول ، قال : كنت أمشي مع طلحة بن مصرف ، فصرنا إلى مضيق فتقدمني ثم قال لي : « لو كنت أعلم أنك أكبر مني بيوم ما تقدمتك »

وعن الفضل بن موسى ، قال : « انتهيت أنا وعبد الله بن المبارك ، إلى قنطرة ، فقلت له : تقدم ، وقال لي : تقدم فحاسبته ، فإذا أنا أكبر منه بسنتين »[2]

---

(١) أخرجه البخاري في باب دفع السِّواك إلى الأكبر (٢٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما تعليقًا، ووصله مسلم (٢٢٧١، ٣٠٠٣).

(٢) رواهما الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع باب تقديم الأكابر في الدخول (١/ ٢٨٥).

سادسًا: أن تُراعِي وَضعَه الصِّحِّي والبَدني والنَّفسي بسبَب الكِبَر وضَعفِه، وهذِه من الأُمور الَّتي يجهَلُها الكثِيرُ من الشَّباب، وأن تعرِف أنَّ هذه المرحلَة الَّتي يعِيشُها مرحلةُ ضعفٍ عامٍّ في بدَنه، وصحَّته، وحواسِّه، وإذا فسَحَ اللهُ في عمُرك ربما تمرُّ بمِثل هذه المرحلَة، فالإنسانُ في أوَّل عمرِه وعنفُوان شبابِه يكونُ غضًّا طريًّا ليِّن الأَعطاف، بهِيَّ المَنظر، ثمَّ إنَّه يشرَع في الكُهولة فتتَغَيَّر طِباعه، وَيَنْفَد بعضُ قُواه، ثمَّ يكبُر فيصِيرُ شيخًا كبيرًا، ضعيفَ القُوى، قليلَ الحَركة، يُعجِزه الشَّيءُ اليسِير، كما قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً** ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال: ﴿**وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ** ﴾ [الحج: ٥].

إذًا؛ فمِن حقِّه عليكَ أن تعرِف حالتَه الصِّحِّية، ووَضعه النَّفسي، ووَضع حواسِّه، بل إنَّ بعض النَّاس بسبَب كِبَره

ووهنِه وضعفِه وضعفِ حواسِّه، تعودُ تصرُّفاته إلى أشبَه ما يكونُ بتصرُّفات الصَّغير فتُراعِي ذلك.

بينَما الَّذي لا يعرفُ هذا الأمرَ تجِده سُرعانَ ما يملُّ من الكبِير، ويسأَم مِن مُعامَلته؛ لأنَّه لا يستَشعر الحالَ الَّتي يُعانِيها الكبِير؛ فإذا استَحضرتَ هذا المقام واستذكرتَه وعرفتَ أنَّه حقٌّ عليك، وأنَّه واجبٌ يجب أن تَرعاهُ؛ فإنَّك ستَقوم بهذا الواجِب، وتَرعاهُ على أتمِّ حالٍ، وأحسنِ ما يكُون.

ومِن الأُمور المؤسِفَة والمؤلِمَة أنَّ بعضَ الأبناء يُؤدِّي مرحلةً مِن الإحسان، ثمَّ يسأَم ويمَلُّ ويترُك الإحسان، بل وَصل الأمرُ إلى أنَّ بعض الأبناءِ يذهَب بوالِده أو بوالِدته إلى أماكِن التَّأهيل، وأماكِن رِعايَة الكِبار، ويترُكه في ذلك المكان، بل لرُبَّما طرَحه طرحًا، وولَّى على عقِبَيه، ولم يرْعَ له حتَّى حقَّ الزِّيارة، وفي بعض دُور التَّأهيل يبقَى الوالِد أو الوالِدة خمسةَ عشر سنةً، أو أقلَّ أو أكثَر، ولا يكونُ من

أبنائِهما حتَّى الزِّيارة، ولا حتَّى في يومِ العيد، ولو سُئِل هذا الابنُ: أتحبُّ مِن أبنائِك أن يكُونوا مثلَك لوالِدك لو كبُرتَ؟ ماذا يقُول؟ لا شكَّ أنَّه لا يرضَى ذلك لنفسِه، وفي الحديث الصَّحيح: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»[1].

وعلى كلٍّ؛ سواءٌ وصَل أحدُ الوالِدين إلى مرحلَة الخَرَف أو لم يصِل، فيتعيَّنُ القِيام بحقِّهما؛ مقابَلةً للإحسان، ورِعايةً للجَميل، وحفظًا للمعرُوف، واللهُ ـ تبارَك وتعالى ـ يقول: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ]، فقرَن حقَّ الوالِدين بحقِّه، وقرَن شُكر الوالِدين بشُكرِه: ﴿ **أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ** ﴾، فهذَا حقٌّ لازِمٌ يبقَى إلى موتِهما،

(١) رواه مسلم (٤٨٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

واللهُ تعالى يسأَل العبدَ عن ذلِك يومَ القِيامة.

سابعًا: الدُّعاءُ لهم: أن تدعُو لهم بِطُول العُمر في طاعةِ الله ﷻ، وتدعُو لهم بالتَّوفيق والسَّداد، وبأن يحفَظهم اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ، وأن يمتِّعهم بالصِّحة والعَافية، وأن يُحسِن لهم الخاتِمة، وتدعُو لهم بأن يكُونوا ممَّن قال فيهِم ﷺ ـ حينَما سُئِل عن خيرِ النَّاس ـ فقَال: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[1].

قِيل: «إنَّ سليمانَ بن عبد الملك دخل مرَّةً المسجد، فوجَد في المسجِد رجلًا كبير السِّنِّ، فسلَّم عليه، وقال: يا فُلان! تحبُّ أن تمُوت؟ قال: لا؛ قال: ولمَ؟ قال: ذهَب الشَّباب وشرُّه، وجاءَ الكِبَر وخيرُه؛ فأنا إذا قمتُ قلتُ: بِسم الله، وإذا قعَدتُ قلتُ: الحمدُ لله،

(١) رواه أحمد (١٧٦٨٠ـ١٧٦٩٨)، والتِّرمذي (٢٢٥١) عن ابن بسر، وأحمد (٢٠٤١٥،٢٠٤٤٣،٢٠٤٨٠)، والتِّرمذي (٢٢٥٢) عن أبي بكرة، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٣٣٦٤)، و«الصَّحيحة» (١٨٣٦).

فأنا أحبُّ أن يبقَى لي هذا»[1]، أي: يُرِيد أن يستمرَّ حامدًا ذاكرًا شاكرًا، فشرُّ الشَّباب وما فِيه مِن تسلُّط الشَّهوة والمَيل إلى الأَحوال الرَّدِيئة ذهَب، ودخَل في خيرِ الشَّيخُوخة وبَرَكتِها، فهو يعيشُ مرحلةَ دنوِّ الأَجل، وقُرب المفارَقة للحَياة، فيذكرُ اللهَ، ويشكرُه، ويحمدُه، ويسبِّحُه، ويهلِّلُه، ويدعُوه، فيُريد أن يبقَى له ذلِك.

ثامنًا: أن يعلَم أنَّه مهما قدَّم لن يبلُغَ جزاءَ الوالِدَين، فعن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**».

وعَن أبِي بُردَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كانَ ابنُ عمرَ يطُوف بالبيتِ فرأَى رجُلًا يطُوفُ حَامِلًا أُمَّهُ وهوَ يقولُ:

إنِّـي لـهَـا بعِـيـرُها الـمـذَلَّـل

إنْ أذعَـرَتْ رِكـابَـهـا لَـم أَذْعَرْ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «العمر والشِّيب» (٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩١٥٩)، والدِّينوري في «المجالسة» (٢٠٢١).

أحمِلُها وما حملَتنِي أكثرُ، أُترَاني يا ابنَ عمرَ! جزَيتُها؟ قال: لَا، ولَا زَفْرَةً واحدَةً».

وعنِ الحسَن: «أنَّ ابنَ عمرَ رأَى رجُلًا يطُوفُ بالبَيت حَامِلًا أُمَّهُ وهُوَ يقولُ لَهَا: أتُرِينِي جزَيتُكِ يَا أُمَّهْ؟ فقالَ ابنُ عمرَ: أَيْ لُكَعُ! لَا وَالله، ولَا طلقَةً واحِدَةً»[1].

فهذِه مِن جُملة الحقُوق الَّتي ينبَغي أن يرعَاها المسلمُ لهؤُلاءِ الكِبار، وشيءٌ مِن التَّنبيهات والإِشارات حَول هذا الموضُوع الكبِير الجليل، وأسأَلُ اللهَ ـ تبارَك وتعالى ـ أن يعُمَّ مجالِسَنا بالخَير والبرَكة، وأن يوفِّقنا للعِلم النَّافع والعَمل الصَّالح، وأسأَلُه ـ تبارَك وتعالى ـ بأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلا أن يُبارِك في كبار السِّنِّ، من آبائِنا وأقارِبنا وجيرانِنا وعُموم المسلِمين، وأن يحفَظهم بحِفظه، وأن يتولَّاهم برعايَتِه، وأن يوفِّقهم بتَوفِيقه، وأن يمُنَّ عليهم بحُسن الختام، وطيِّب العمل، وسدِيد القَول،

(١) رواهما المروزي في «البرِّ والصِّلة» (٣٧ـ٣٨).

كما أسأَلُه سبحانَه أن يُعظِم البرَكة في هذِه الرِّسالة، وأن يجعَلها سببًا مبارَكًا للصَّلاح والإِصلاح، وأن يتقبَّلها بقَبولٍ حسَنٍ، وأن يجعَلها لوجهِه خالِصةً، ولعِباده نافِعةً، إنَّه ـ تبارَك وتعالى ـ سمِيعُ الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسبُنا ونِعم الوَكيل.

وآخِر دَعوانا أنِ الحَمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه، وصحبِه أجمَعين[1].

(١) أصلُ هذِه الرِّسالة محاضَرة ألقَيتُها في أحَد المساجِد في جدَّة، وقد فُرِّغت من الشَّريط، وأَجرَيْتُ عليها تعدِيلاتٍ وزياداتٍ، وتقديمًا وتأخيرًا، وفضَّلتُ أن تبقى بأسلُوبها الإلقائِي كما كانَت في المحاضَرة، واللهُ وحدَه الموفِّق.

الفَهرس